



## تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003

بيان صحفي 6

### تعريب التعليم العالي مفتاح للنهضة الثقافية

لم يعد تعريب التعليم الجامعي قضية قومية فحسب، بل غدا واحدا من المسئلتزمات الأساسية لتنمية القدرات الذهنية والملكات الإبداعية لدى الجيل الجديد من العرب، وبلغتهم الأصلية. ويؤكد تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003، في معرض طرحه هذا الموقف، أن من الضروري أن يتعلم الشباب العرب التفكير النقدي بلغتهم الأم.

ويضيف التقرير أن الباحثين العرب لم يولوا القدر اللازم من الاهتمام لفهم طبيعة العلاقة بين المنظومة اللغوية العربية من جهة، وعمليات التفكير من جهة أخرى. ورغم الأهمية الواضحة لهذه المسألة فإن جهود التعريب ما زالت تتغير بفعل الضغوط التي تمارسها أوساط أكاديمية عديدة. ومن جملة الذرائع التي يسوقها معارضو تعليم العلوم باللغة العربية أن مثل هذا الاعتراض، كما يقول التقرير، سيفقد كل مبرارته إذا ما بذلت بصورة موازية لجهود التعريب جهودا أخرى لتعليم التخصصات العلمية بلغات أجنبية في الوقت نفسه.

ويلاحظ واضعو "تقرير التنمية الإنسانية العربية" الثاني أن مستوى إمام الأجيال العربية الشابة، باللغة الإنجليزية متدن جدا، وباستثناء قلة من الأكاديميين والمتقنين العرب، فإن الطلاقة باللغة الإنجليزية في حالة انحسار مطرد، مما يحول دون نشر الباحثين العرب لبحوثهم ودراساتهم في المجالات العلمية العالمية.

وفي معرض الحديث عن مصادر المعرفة بلغات غير العربية، يشير التقرير إلى أن ترجمة الأعمال الأجنبية إلى العربية تعاني من القصور والشح، ولا تواكب التجدد المعرفي التراكمي المتسارع في العالم.

وتواجه الثقافة العربية بمجملها تحديات واضحة من جانب ركنين من أركان الثقافة العالمية الراهنة، هما سطوة وسائل الاتصال الجماهيري، وهيمنة القدرة الاقتصادية. بل إن المخاوف من انقراض اللغة العربية، وهي السمة الأساسية المميزة للهوية العربية، والثقافة العربية نفسها، قد أصبحت من الهواجس التي تساور العقل العربي والمجتمع العربي بأسره.

ويرى تقرير التنمية العربية أن الخطاب اللغوي العربي يعاني أزمة في المناهج والمنهجيات كليهما. ويدعو التقرير إلى تجاوز المحور الذي تدور حوله الدراسات اللغوية الراهنة، وهو قواعد الصرف والنحو، والانتقال إلى دراسة منظومة اللغة العربية من منظور أكثر عمقا وشمولا يتم فيه التركيز على عناصر اللغة الداخلية المتداخلة، والعلاقات التي تربطها بالمنظومات المجتمعية الأخرى، وتحليل البنية المفهومية للكلمات والمصطلحات العربية. ولا سبيل في هذا المجال إلا بقيام نشاط بحثي ومعلوماتي جاد في ميدان اللغة العربية، والشروع بإصلاح لغوي شامل يستغل الذخيرة الهائلة من موارد المعلومات التي يوفرها مجتمع المعرفة في المجال اللغوي.



ومن جهة أخرى، فإن القصور في تدريس اللغة العربية قد ترك آثاره على استخدام العربية الفصحى في المجتمع بصورة عامة. إذ لم تعد الفصحى لغة للتحادث، بل أداة للبيانات الرسمية والعامة. بل انها في هذا السياق كثيرا ما تستخدم للدلالة على الفصاحة والبلاغة لدى المتكلم، لا كوسيلة للتواصل الحقيقي المباشر بين الناس.

وسواء استخدمت بصيغتها العامية أو الفصحى، فإن اللغة العربية تظل هي العماد الرئيسي للتضامن وللتكاتف القومي والوحدة الثقافية بين العرب، واسطة العقد بين الثقافة العربية وثقافات البلدان الإسلامية. وعلى هذا الأساس، كما يرى واضعو التقرير، فإن منظومة اللغة العربية، بما تنطوي عليه من قيم دينية وثقافية وأدبية وأخلاقية، ستكون مناط الأمل في بعث الحيوية في جميع أرجاء منظومة المعرفة العربية. وقد أثبتت اللغة العربية عبر التاريخ قدرة فائقة على حمل أرقى المعارف الإنسانية، بل ريادة أكثر تخومها وعورة. وهي، بهذه الصفة، قادرة على مواجهة تحديات العولمة الراهنة والتعايش الخلاق مع مقتضيات المستقبل على السواء.